مقاصد ختم آي القرآن الكريم بأسماء الله الحسنى

الدكتور جمال اسطيري

كلية الآداب بني ملال

يعتبر العلم بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى من أهم العلوم، وأوجب الواجبات التي تعرف المسلم بأصل الاعتقاد، ومبنى الشرع، وحكمته، ومقاصده، فالإيمان بالله إنما يتم عن طريق التعرف على كمالاته تعالى وأفعاله اللامتناهية، والشرع إنما صدر عن أسمائه تعالى التي لا تخرج عن تحقيق مصالح العباد بإيصالهم إلى مدارج الكمال.

قال ابن القيم "مصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى...فالأمر مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم والإحسان إليهم؛ بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فأمره كله مصلحة وحكمة ولطف وإحسان؛ إذ مصدره أسماؤه الحسنى، وفعله كله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة، إذ مصدره أسماؤه الحسنى"[1]

وقد شغل الحديث عن أسماء الله الحسنى وصفاته العلى في كتاب الله أعظم مما شغل من آيات النعيم في الجنة، بل هي أعظم قدرا عند الله من آيات المعاد حتى عدلت سورة الإخلاص ثلث القرآن لما فيها من الحديث عن أسماء الله الحسنى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية "والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله، أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته، أعظم قدرا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك، كما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بن كعب (أتدري أي آية في كتاب الله أعظم) قال (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)"البقرة 255"فضرب بيده في صدره، وقال(ليهنك العلم أبا المنذر)..." [2]

و بالرغم من هذا الذي ذكره ابن تيمية فإننا نرى آيات الأحكام و العقائد والمعاملات والمواعظ قد ختمت بأسماء الله الحسنى كما تراه في هذا البحث، أو في تتبع آيات القرآن الكريم.

وقد أولى العلماء قديما وحديثا أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن كامل العناية من الشرح والبيان، كل حسب تخصصه وحسب منهجه، وحسب ما فتح الله به عليه من إدراك لطائف المعاني لتلك الأسماء الحسنى، وكان بعضهم يراعي سياقها في كتاب الله، كما فعل المفسرون وغيرهم، وبعضهم يقطعها عن سياقها فيفسرها تفسيرا

---

[1] ــ "بدائع الفوائد" لابن القيم 170/1.

[2] ــ انظر "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية 310/5، والحديث في مسلم 556/1 ح810 كتاب صلاة المسافرين وقصرها (باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي)

لغويا وعقديا، يؤيد ذلك أحيانا بما جاء في الأحاديث النبوية، إلى غير ذلك مما تزخر به المكتبة الإسلامية، ويعرفه أهل العلم وطلبته. لكن الذي يستوقف المتأمل لكتاب الله، والمتتبع لآياته، الطالب لطائفه هو ختم كثير من آيات القرآن على اختلاف موضوعاتها بأسماء الله الحسنى. فهل من علاقة بين سياق تلك الآيات وما ختمت به من تلك الأسماء؟

المبحث الأول: جهود القدامى في القضية

إيجاد المناسبة المعنوية بين الآية وما ختمت به من أسماء الله الحسنى له حضور لا بأس به عند المفسرين القدامى على اختلاف مناهجهم وطرائقهم في التفسير، سواء منهم من نهج منهج التفسير الأثري، أو من اعتمد التفسير بالرأي، سواء منهم من اعتنى بمجرد حل الألفاظ القرآنية، أو من طلب المعاني في سياقاتها، أو من التمس المقاصد في آياتها. و لم تكن القضية عندهم مثار بحث يحتاج إلى تحرير القول، وإنما اعتبرت جزءا من انشغالهم العام، وهو تفسير كتاب الله كله بآليات ومنهجيات خاصة بكل مفسر، حسب تخصصه وما برز فيه من علوم، وحسب حاجة المجتمع المعرفي الذي عاش فيه ولذلك لم نقف لهم على مؤلف خاص في القضية.

كما يمكن القول بأن أولئك المفسرين لم يتكلفوا إيجاد المناسبة بين كل آية وما ختمت به من أسماء الله الحسنى، وإنما نبهوا على ذلك في الآية بعد الآية طلبا لإتمام المعنى في سياقه، ومنهم من ينشط لذلك أكثر في بعض المواضيع دون بعض.

ولأجل بيان انشغالهم بالربط بين معاني الآيات وما ختمت به من أسماء الله الحسنى نورد بعض النماذج من أقوالهم في ذلك، فمنهم:

1-محمد بن جرير الطبري (تـ 310هـ) في تفسيره « جامع البيان في تأويل القرآن».

- قال عند تأويله قوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم)[1] .

(... وأما قوله « عفا الله عنها» فإنه يعني به : عفا الله لكم عن مسألتكم عن الأشياء التي سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كره الله لكم مساءلتكم إياه عنها، أن يؤاخذكم بها، أو يعاقبكم عليها، إن عرف منها توبتكم وإنابتكم (والله غفور) يقول: والله ساتر ذنوب من تاب منها، فتارك أن يفضحه في الآخرة (حليم) أن يعاقبه بها لتغمده التائب منها برحمته وعفوه، عن عقوبته عليها).[2]

- وقال عند ختم قوله تعالى (لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير).[3]

---

[1] - سورة المائدة، الآية 101.

[2] -"جامع البيان "لابن جرير 93/7

[3] - سورة المائدة الآية 120

("وهو على كل شيء قدير" يقول تعالى ذكره: والله الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهن، قادر على إفنائهن وعلى إهلاكهن و إهلاك عيسى وأمه ومن في الأرض جميعا كما ابتدأ خلقهم، لا يعجزه ذلك ولا شيء أراده، لأن قدرته القدرة التي لا يشبهها قدرة وسلطانه السلطان الذي لا يشبهه سلطان ولا مملكة)[1] وهذا الربط الذي ذكره ابن جرير هنا له علاقة وطيدة بكثير من الآيات السابقة في سورة المائدة هذه، بل يمكن أن نعتبره معظم مقاصد السورة.

- وقال عند ختم قوله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم).[2]

(وأما قوله « إن ربك حكيم عليم » فإنه يعني : إن ربك يا محمد حكيم في سياسة خلقه وتلقينه أنبياءه الحجج على أممهم المكذبة لهم الجاحدة توحيد ربهم، وفي غير ذلك من تدبيره، عليم بما يؤول إليه أمر رسله، والمرسل إليهم من ثبات الأمم على تكذيبهم إياهم وهلاكهم على ذلك وإنابتهم وتوبتهم منه بتوحيد الله تعالى وتصديق رسله والرجوع إلى طاعته، يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : تأس يا محمد في نفسك وقومك المكذبين والمشركين بأبيك خليلي إبراهيم صلى الله عليه وسلم، واصبر على ما ينوبك منهم صبره، فإني بالذي يؤول إليه أمرك وأمرهم عالم التدبير فيك وفيهم حكيم).[3]

2- أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت701هـ) في تفسيره « مدارك التنزيل وحقائق التأويل».

قال عند ختم قوله قال تعالى (وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم) [4] : [(لغفور) لمن آمن منهم (رحيم) حيث خلصهم].[5] وعبارة النسفي - هنا- على وجازتها وضحت مناسبة هذا الختم باسمي الله الغفور الرحيم؛ إذ ختمت للمخاطبين ببشريان، بشرى للنجاة من عذاب الآخرة، وأخرى بتخليصهم من عذاب الدنيا. وذلك لمن استجاب لدعوة نبي الله نوح فركب السفينة. فحمل الاسمان كل هذه المعاني.

وقال عند ختم قوله تعالى (فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا يضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ).[6]

---

[1] - جامع البيان لابن جرير 153/7.

[2] - سورة الأنعام الآية 83.

[3] - جامع البيان لابن جرير 273/7.

[4] - سورة هود الآية 41.

[5] - مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي 56./2.

[6] - سورة هود الآية 57.

-(رقيب عليه مهيمن. فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم. أومن كان رقيبا على الأشياء كلها حافظا لها وكانت الأشياء مفتقرة إلى حفظه عن المضار، لم يضر مثله مثلكم)[1] وهذا في قصة هود عليه السلام مع قومه، وما حكاه الله عنهم من جدالهم له، وإنكارهم ما جاءهم به من الآيات وزعمهم إصابة آلتهم له بسوء.

فتحداهم عليه السلام أن ينالوه بسوء ثم تبرأ منهم بما جاء في الآية السابقة (فإن تولوا...) الآية. فتبين بهذا حسن الختم بقوله تعالى (إن ربي على كل شيء حفيظ) كما تجلى ذلك الحفظ الذي تضمنه الاسم (الحفيظ) بما ذكره النسفي سابقا.

3- أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت 774هـ) في تفسيره « تفسير القرآن العظيم» .

قال عند تفسير قوله تعالى (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم).[2]

(...« قل » يا محمد لهؤلاء العابدين غير الله من سائر فرق بني آدم ودخل في ذلك النصارى وغيرهم « أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا » أي لا يقدر على دفع ضر عنكم ولا إيصال نفع إليكم « والله هو السميع العليم» أي فلم عدلتم عن إفراد السميع لأقوال عباده، العليم بكل شيء، فلم عدلتم عنه إلى عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئا ولا يملك ضرا ولا نفعا لغيره ولا لنفسه)[3].

وقال عند قوله تعالى (لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير).[4]

(أي هو الخالق للأشياء، المالك لها، والمتصرف فيها، القادر عليها، فالجميع ملكه وتحت قهره وقدرته، وفي مشيئته، فلا نظير له، ولا وزير، ولا عديل، ولا والد، ولا ولد، ولا صاحبة، ولا إله غيره، ولا رب سواه).[5]

فجمع ابن كثير في معنى هذا الختم مقاصد السورة كلها ومسح معانيها كلها، ولعل السبب في ذلك أنه أخذته براعة ختم السورة.

4 ـــ علي بن أحمد المهايمي (ت 835 هـ) في تفسيره « تبصير الرحمن وتيسير المنان» .

قال عند ختم قوله تعالى:

- (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم).[6]

---

[1] - مدارك التنزيل للنسفي 65/2.

[2] - سورة المائدة الآية 76.

[3] -تفسير القرآن العظيم لابن كثير 98/3

[4] - سورة المائدة الآية 120.

[5] -تفسير القرآن العظيم لابن كثير 146/3.

[6] - سورة النور الآية 10.

-(اقتضت حكمته أن لا يتلف الإنسان ما أمكن إبقاؤه وإصلاحه).[1]

وقال عند قوله تعالى :

- (ويبين الله لكم الآيات والله عليكم حكيم).[2]

[(يبين الله لكم الآيات) الدالة على وجوه قبحه [3] (والله عليم) بوجوه أخر من القبح فيه (حكيم) لا يبين منها إلا ما يقبله الكل ويكفي من قبائحه أن فيه حب إشاعة الفاحشة في أخص أهل بيت رسول الله ..].[4]

5- أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي (ت بعد 880هـ) في تفسيره« اللباب في علوم الكتاب».

قال عند ختم قوله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليكم حكيم).[5]

(....ثم قال « والله عليم » بمقادير المصالح « حكيم » لا يشرع إلا ما هو الأصوب والأصلح).[6]

وهذا الكلام على وجازته تعليل وتوجيه لما ذكر في سياق الآية من هذه الأصناف المستحقة للزكاة على ما فرض الله تعالى في أموال الأغنياء.

وقال عند ختم قوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله
أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم).[7]

- (... ثم قال « إن الله عزيز حكيم » وذلك يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب؛ لأن العزيز هو الذي لا يمنع من مراده في عباده من رحمة أو عقوبة، والحكيم هو المدبر
أمر عباده على ما تقتضيه الحكمة).[8]

ويقصد بذلك الترغيب في الالتحاق بصفوف المؤمنين والمؤمنات أولياء الله الذين ذكرت الآية أوصافهم، والترهيب من عاقبة النفاق والمنافقين الذين حذر السياق قبل من سماتهم، فالمناسبة هنا ترتبط بسياق أسبق وأطول يبتدئ بقوله تعالى (والمنافقون والمنافقات) الآيات.[9]

---

[1] - تبصير الرحمن وتيسير المنان للمهايمي 64/2.

[2] - سورة النور الآية 18.

[3] - أي قبح الافك

[4] - تبصير الرحمن وتيسير المنان 66/2.

[5] - سورة التوبة الآية 71.

[6] - اللباب في علوم الكتاب ، للدمشقي 128/10.

[7] - سورة التوبة الآية 71.

[8] -اللباب في علوم الكتاب . للدمشقي 144/10.

[9] - الآيات 67 إلى 70 من سورة التوبة.

6- الجلالان جلال الدين المحلي (ت 864هـ) وجلال الدين السيوطي (ت 911هـ) في « تفسير الجلالين».

جاء فيه عند تفسير قوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم).[1]

(.... فقضاهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم) مجملا ومفصلا أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء، وهو أعظم منكم قادر على إعادتكم).[2]

- ومن ذلك أيضا ما جاء في قوله تعالى (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم).[3]

(.....« والله غني» عن صدقة العباد « حليم» بتأخير العقوبة عن المان والمؤذي).[4]

7- أبو السعود (ت 982هـ) في تفسيره « إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم».

قال عند تفسيره قوله تعالى (ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور)[5]

– (لينصرنه الله) على من بغى عليه لا محالة (إن الله لعفو غفور) أي مبالغ في العفو والغفران، فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب إليهما بقوله تعالى « ولمن صبر وغفر إن ذلك» أي ما ذكر من الصبر والمغفرة « لمن عزم الأمور» فإن فيه حثا بليغا على العفو والمغفرة، فإنه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره أولى بذلك وتنبيها على أنه تعالى قادر على العقوبة، إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده).[6]

وقال عند ختم قوله تعالى (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم).[7]

– (... (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) حيث هيأ لهم أسباب معاشهم وفتح عليهم أبواب المنافع، وأوضح لهم منهاج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية).[8]

المبحث الثاني: جهود المعاصرين في القضية

---

[1] - سورة البقرة الآية 29.

[2] - تفسير الجلالين 6/1 .

[3] - سورة البقرة الآيتان 262- 263.

[4] - تفسير الجلالين 41/1.

[5] - سورة الحج الآية 60.

[6] - إرشاد العقل السليم لابن السعود 4/ 30.

[7] - سورة الحج الآية 65.

[8] -إرشاد العقل السليم 31/4.

هذه النماذج المتقدمة عن أولئك المفسرين القدامى، على اختلاف منهاجهم، ليس الهدف منها تصنيف أصحابها باعتبار ما، ولا التتبع والإستقراء، وإنما المقصود بيان أن إيجاد المناسبة بين الآية وما ختمت به من أسماء الله الحسنى كان شيئا معروفا عند علماء التفسير باعتباره جزءا من المعنى، تتحقق به وحدة الآية الموضوعية وتمام معناها.

ومع ذلك لا يوجد فيهم – حسب علمي- من أفردها بالبحث والتحرير، مع جدارتها، وموضوعيتها، وارتباطها بتفسير كتاب الله من جهة وبالتعرف على الله من جهة أخرى، وهو من أوجب الواجبات، إذ التعرف عليه سبحانه مرتبط بالتعرف على أسمائه وصفاته في سياق كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقضية مناسبة ختم الآيات بأسماء الله الحسنى مؤطرة عقديا، قد يذهب فيها أصحاب التفاسير العقدية بعيدا، وأقصد من ينتصرون لمذهب السلف الصالح في باب الأسماء والصفات، ولهذا كان المهتمون بها أكثر من أصحاب هذا الإتجاه، كابن جرير، وابن كثير، وابن القيم، وعبد الرحمن السعدي.ومن جاء بعدهم من المعاصرين قد ينشط لها أكثر كأهل الحجاز، أو من تأثر بهم.

وعلى كل حال فالدراسة المقاصدية لكتاب الله التي تتجاوز ظاهر اللفظ ومبناه إلى عمقه ومرماه معنية- أيضا- بهذا الموضوع. كما تعتبر هذه القضية جزءا من انشغال أصحاب التناسب بين آي القرآن الكريم. أقصد التناسب المعنوي لا التناسب الصناعي البلاغي .ثم إن من نتائج نضج مناهج التفسير وتطورها أن ظهر للباحثين تميز بعض تلك المناهج، ورتابة بعضها، وقصور غيرها، فأفرز ذلك البحث في جزئيات ارتبطت بكتاب الله، احتاجت إلى بسط القول، فكان منها قضية مناسبة ختم الآيات بأسماء الله الحسنى. فتناولها الباحثون المعاصرون، وأفردوها بمؤلفات لا يزال كثير منها حبيس الجامعات في أطروحات أو محتكرا في المجالات، أو في أخبار الندوات.

فمن المعاصرين الذين تناولوا هذا الموضوع أو وقفوا عنده:

1-عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت 1376هـ) في تفسيره :« تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».

من المعاصرين الأوائل الذين أثاروا مسألة ختم الآيات بأسماء الله الحسنى وعلاقتها بالحكم المذكور في الآية، وعبد الرحمن السعدي في الحنابلة صاحب قواعد وفوائد، نثرها في مقدمة تفسيره، كما ذكرها في سائر مؤلفاته.

وقد أفاد كثيرا من ذلك من ابن تيمية وابن القيم.

وقد تكلم السعدي عن هذه القضية وأثارها للوقوف عندها وإيلائها ما تستحق من العناية والبحث، باعتبارها قاعدة من قواعد التفسير التي تعين المفسر على إدراك العلاقة بين ختم الآية بأسماء الله الحسنى وسياقها. حيث قال رحمه الله :" ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك

الاسم الكريم. وهذه القاعدة لطيفة نافعة، عليك بتتبعها في جميع الآيات المختومة بها، تجدها في غاية المناسبة، وتدلك على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر على أسمائه وصفاته ومرتبط بها. وهذا باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجل المعارف وأشرف العلوم. فتجد آية الرحمة مختومة بصفات الرحمة، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة والقدرة والحكمة والعلم والقهر.

ولا بأس هنا أن نسوق بعض الآيات في هذا، ونشير إلى مناسبتها بحسب ما وصل إليه علمنا القاصر وعبارتنا الضعيفة، ولو طالت الأمثلة هنا لأنها من أهم المهمات، ولا تكاد تجدها في كتب التفسير إلا يسيرا منها.

قال تعالى (فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم) [البقرة29] فذكر إحاطة علمه بما فيها من العوالم العظيمة، وأنه حكيم حيث وضعها لعباده، وأحكم صنعها في أحسن خلق وأكمل نظام، وأن خلقه لها من أدلة علمه، كما قال في الآية الأخرى(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) [الملك14] فخلقه للمخلوقات وتسويتها على ما هي عليه من إنسان وحيوان ونبات وجماد، من أكبر الأدلة العقلية على علمه، فكيف يخلقها وهو لا يعلمها؟

ولما ذكر كلام الملائكة حين أخبرهم انه جاعل في الأرض خليفة، ومراجعتهم لربهم في ذلك، فلما خلق آدم وعلمه أسماء كل شيء مما جعله الله له وبين يديه، وعجزت الملائكة عن معرفتها وأنبأهم آدم بها (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) [البقرة32] فاعترفوا لله بسعة العلم، وكمال الحكمة، وأنهم مخطئون في مراجعتهم ربهم في استخلافه آدم في الأرض التي خلقت له وهيئت لنزوله.

وفي هذا: أن الملائكة على عظمتهم وسعة معارفهم بربهم اعترفوا بأن علومهم تضمحل بجانب علم ربهم، وأنه لا علم لهم إلا منه، فختم هذه الآيات بهذين الاسمين الكريمين الدالين على علم الله بآدم وما خلق له وما خلق عليه وتمام حكمته في خلقه، وما يترتب على ذلك من المصالح المتنوعة: من أحسن المناسبات.

وأما قوله عن آدم (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) [البقرة 37] وختمه كثيرا من الآيات بهذين الاسمين [التواب الرحيم] بعد ذكر ما يدعو به العبد إلى التعرض من رحمته ومغفرته، وتوفيقه وحلمه، فمناسبته جليلة لكل أحد، وأنه لما كان هو التواب الرحيم، أقبل بقلوب التائبين إليه، ووفقهم للأخذ بالأسباب التي ترجعهم إلى الفطرة السلمية التي يعرفون بها نعمة ربهم فيقدرونها ويشكرونها ويستجيبون لما يدعوهم بها إليه سبحانه، فيرجعون في كل شؤونهم وأمورهم إلى ربهم، فيفرح بهم ويزيدهم من فضله ويتوب عليهم ثم يغفر لهم ويرحمهم، فتاب عليهم وأجاب سؤالهم، ولهذا قال في الآية الأخرى (ثم تاب عليهم ليتوبوا) [التوبة 118] أي أقبل بقلوبهم عليه، فإنه لولا توفيقه وجذب قلوبهم إلى ذلك بنعمه الكونية والعلمية

لم يكن لهم سبيل إلى ذلك حين استولت عليهم النفس الأمارة، فإنها لا تأمر إلا بالسوء، إلا من رحمه الله فأعاذه منها ومن نزغات الشيطان.[1]

ولعبد الرحمن السعدي وقفات ماتعة في المناسبة بين سياق الآيات وختمها بأسماء الله الحسنى مبثوثة في تفسيره "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان".

2- **محمد الطاهر بن عاشور (ت 1973م) في تفسيره « التحرير والتنوير».**

الذي غلب فيه الجانب المقاصدي، وهو أولى بالعناية بالقضية في تعليقه وتفسيره لختم آيات القرآن بأسماء الله الحسنى، فمن ذلك:

- قوله عند تفسير قوله تعالى « سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم»[2] – (... والعزيز الذي لا يغلب، وهذا الوصف ينفي وجود الشريك في الالهية.

و«الحكيم» الموصوف بالحكمة، وهي وضع الأفعال حيث يليق بها، وهي أيضا العلم الذي لا يخطئ ولا يختلف ولا يحول دون تعلقه بالمعلومات حائل، وتقدما في سورة البقرة، وهذا الوصف يثبت أن أفعاله تعالى جارية على تهيئة المخلوقات لما به إصابة ما خلقت لأجله، فلذلك عززها الله بإرشاده بواسطة الشرائع).[3]

فقوله (وهذا الوصف ينفي وجود الشريك في الالهية) رد لاسمه العزيز إلى التسبيح والتنزيه الذي صدرت به السورة، وكذلك قوله بعد في اسم «الحكيم» (... وهذا الوصف يثبت أن أفعاله تعالى جارية على تهيئة المخلوقات...) له علاقة أيضا بتنزيه الله في أفعاله أن تخطئ مراده من الخلق.

وقال عند ختم قوله تعالى « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز»[4] – (...وجملة « إن الله قوي عزيز» تعليل لجملة «أرسلنا رسلنا بالبينات» إلى آخرها، أي لأن الله قوي في شؤونه القدسية، فكذلك يجب أن تكون رسله أقوياء أعزة، وأن تكون كتبه معظمة موقرة، وإنما يحصل ذلك في هذا العالم المنوطة أحداثه بالأسباب المجعولة لأن ينصره الرسل وأقوام مخلصون لله ويعينوا على نشر دينه وشرائعه)[5] وقد جمعت عبارة ابن عاشور هذه جل مقاصد سورة الحديد، فإن مدارها على تحقيق القوة والعزة لدين الله ورسله وكتبه، وإنما يتم ذلك بتحقيق كمال الإخلاص والتضحية لهذا الدين ونصره.

---

[1] - " القواعد الحسان " القاعدة التاسعة عشرة : للسعدي.

[2] - سورة الحديد، آية 1.

[3] - التحرير والتنوير لابن عاشور 358/27.

[4] -سورة الحديد آية 25.

[5] - التحرير والتنوير 418/416/27.

3- **عبد الودود مقبول حنيف** في أطروحة دكتوراه تحت عنوان: « الأسماء الحسنى ومناسبتها للآيات التي ختمت بها: من سورة النور إلى آخر القرآن» من جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين، مكة سنة 1990م. و لم نقف عليها، ولا علمنا بطبعها.

4- **عواطف حمزة خياط** في رسالة ماجستير في عنوان: « أسرار التناسب والبيان في الأسماء الحسنى والصفات العلى في الفاصلة القرآنية» من جامعة أم القرى كلية اللغة العربية سنة 1994 م. و لم نقف عليها.

5- **فهمي سعيد شومان** في رسالة ماجستير تحت عنوان :« الفواصل والتذييل بالأسماء والصفات في القرآن الكريم » من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية. كلية القرآن الكريم أم درمان. السودان سنة 1995م. و لم نقف عليها.

6- **عبد الله قادري الأهدل** – في كتابه « الإيمان هو الأساس»[1] في مبحث الأسماء والصفات تحدث عن « مناسبة الأسماء والصفات للسياقات التي تذكر فيها».

وكلام الباحث هنا عن ختم الآيات بأسماء الله الحسنى هو كلام عارض، وليس بحثا خاصا في الموضوع الذي نحن بصدده.

فقد ذكر أن كل اسم من أسماء الله أو كل صفة من صفاته، يكون ذكرها مناسبا للسياق الذي ذكرت فيه غاية المناسبة، فإذا كان السياق يقتضي رحمة الله ومغفرته ، ذكر فيها ما يناسب ذلك كأسمائه: الرحمان الرحيم الغفور، وإذا كان السياق يقتضي إشعار العبد بما يعمل في سره وعلنه، ذكرت الأسماء الدالة على كمال علم الله وإحاطته بكل شيء، كأسمائه : البصير السميع العليم الخبير... إلى آخره. ثم ذكر أمثلة لذلك من كتاب الله، يصدق عليها ما ذكره،[2] انتقاها انتقاء، ثم تحدث عن سياقات تقتضي الجمع بين الرحمة والأمن والعزة والجبروت، ومثل لها بالآيات من أواخر سورة الحشر(هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ...) الآيات[3] من أواخر سورة الحشر لا تصلح مثالا لهذا الموضوع الذي نحن بصدده، لأنها كلها كلام عن أسماء الله تعالى شأنها شأن آية الكرسي، والقضية هنا فيما ختم بأسماء الله من آيات، في موضوعات مختلفة، لا أن تكون كلها في سياق الأسماء والصفات. وفي بعض النصوص التي أوردها نظر، لأنها لا تقتضي الجمع بين ما ذكره، وإنما فيها جزء من المعنى إما العزة، وإما القدرة وإما الجبروت.[4] كما أن الكلام عن معنى ختم في سياقات مختلفة – وإن كان يخدم الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، إلا أنه يتجاوز سياق الآية والسورة ليقفز على نتائج معلومة. ثم ذكر سياقات تقتضي إحاطة علم الله بكل ما يعمل العبد في سره وعلنه،

---

[1] - صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1997م.

[2] - انظر "الإيمان هو الأساس " لعبد الله قادري الأهدل، ص 56-58.

[3] - سورة الحشر الآيات 24/22.

[4] - " الإيمان هو الأساس" لعبد الله الأهدل ص 58- 60.

وأن المناسب لها من أسمائه: السميع، البصير، العليم، عالم الغيب والشهادة، اللطيف، الخبير ثم ذكر شواهد ذلك، وفي بعضها نظر،[1] وبعضها ليس فيه شاهد.[2]

وهذه الدراسة ليست قاصدة، وإنما هي عارضة لطبيعة موضوع الكتاب.

7- **فخري أحمد سليمان الجريسي** في رسالة ماجستير تحت عنوان « الإقتران الثنائي بين أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم» من جامعة الموصل. كلية الآداب، الموصل، العراق سنة 1998 م. و لم يتيسر الوقوف عليها.

8- **علي العبيد** في كتابه « ختم الآيات بأسماء الله الحسنى ودلالتها » وهو كتاب صغير يقع في 64 صحيفة من القطع العادي. وهو بحث قدمه الشيخ للترقية، ثم طبعه بعد ذلك في كتاب- مع زيادات -.

وقد طبع بدار العاصمة، ط أولى، عام 1418هـ. و لم يتيسر الوقوف عليه.

9- **الدكتور وليد محمد العلي** في « مناسبة ختم الآيات الكريمة بأسماء الله الحسنى» بحث نشر بمجلة «الشريعة» التي تصدرها جمعية الشريعة بالكويت في عددها السابع في سنة 1429 هـ/ 2008 م، و من خلال بعض النماذج التي نقلها عنه محب الفردوس في الشبكة العنكبوتية يظهر أن الباحث وليد العلي حاول الربط بين أسماء الله الحسنى التي ختمت بها الآية والموضوع الذي سيقت فيه، كأن تكون الآية مختومة بأسماء الرحمة إذا كانت متعلقة بالفضل والمثوبة، أو أية مختومة بأسماء العزة متعلقة بالعدل والعقوبة ...وهكذا ..

تعليق:

يبدو أن معظم الباحثين الذين جاءوا من بعد "عبد الرحمن السعدي"، خصوصا من وقفنا على بحوثهم أو نماذج منها. لا يزالون يرددون هذه العلاقة أو المناسبة التي لاحظها، و جعلها قاعدة ، مع العلم انه قد يكون أخذها عن ابن القيم في موضوع أعم من هذا.

و هذه البحوث التي تبعت السعدي على تقرير هذه العلاقة، اكتفت بملاحظة ما ظهرت فيه المناسبة بين الختم بأسماء الله الحسنى و الموضوع الذي سيقت له. وليست كل الأختام بهذه المترلة، فمنها ما هو واضح العلاقة كقوله تعالي (فغفر له إنه هو الغفور الرحيم).[3]

ومنها ما يدرك بقليل النظر كالأمثلة التي. أوردناها عن السعدي ومنها ما لا يدرك إلا ببذل الجهد الكبير، والتأمل العميق في الوصول إلى خيط رفيع للربط بين سياق الآية، أو سياق السورة، أو مقاصدها وبين ما ختمت به من أسماء الله الحسنى؛ وذلك لأن الآية وحدها قد لا تفي – أحيانا - بإدراك العلاقة بينها وبين

---

[1] - " الإيمان هو الأساس" لعبد الله الأهدل ص 61-63.

[2] - وذلك كالاستدلال بالآية 5 من سورة آل عمران، والآية 67 من سورة البقرة. أنظر ص 61 من " الإيمان هو الأساس".

[3] - سورة طه الآية 16

ما ختمت به من أسماء، كما أنه ينبغي ملاحظة الوحدة الموضوعية في الصورة بتمامها، أو في مقطع من مقاطعها.

وهذه هي القيمة المضافة في بحثنا هذا إن شاء الله – إضافة إلى ما اشتغل به الباحثون قبلنا وأفادوا.

فإننا نعمد – إن شاء الله – إلى الحديث عن مقاصد السورة موضوع الختم، ثم نربط الختم بمقصد، أو عدة مقاصد من مقاصدها، من خلال السياق الخاص وهو الآية موضوع الختم، أو من خلال السياق العام، وهو مقطع يحتوي على عدة آيات، وقد تدرك- أحيانا- المناسبة بين ختم الآية بأسماء الله الحسنى وبين جميع السورة، من غير تكلف ولا تعسف.

وهذا ليس بغريب لأن القرآن كلام الله، وقد ارتبطت مقاصده بعضها ببعض، وظهرت وحدته الموضوعية (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا).

وهذه بعض النماذج التي تبين إضافتنا في هذا الموضوع، نستعين بالله على سردها، ونسأله التوفيق والسداد.

إن هذه الدراسة التي نتقدم بها –اليوم- تجيب عن أكثر من هذه المناسبة وتنقب عن شتى العلاقات بين ختم الآيات بالأسماء الحسنى وسياقها الخاص والعام، وربط الأسماء بمقاصد السورة التي ورد فيها ذلك الختم، وذلك من أجل المقاصد الآتية:

1-فهم أسماء الله الحسنى في سياقها الخاص، أي في سياق ختمها للآية المعينة، وفي سياقها العام أي في سياقها الموضوعي المختلف الذي تعرضه كل موضوعات السورة، ما أمكن ذلك، وهذا يؤدي إلى:

2-إبراز وحدة السورة وتناسب بنياتها.

3-فهم القرآن فهما شاملا وعدم تقطيع معانيه: فإن أسماء الله الحسنى التي ختمت بها الآية لا بد أن تنتمي إلى أسرتها الخاصة وهي السورة. كما أنها لا بد أن ترتبط بالنص القرآني عموما باعتباره وحيا ذا سمات خاصة، وميزات متناسقة.

4-إثراء معاني أسماء الله الحسنى بالكمالات اللامتناهية من خلال سياقات السورة المتنوعة.

5-إعادة قراءة النص القرآني قراءة مقاصدية تتناسق فيها آياته، وتتناسب فيها بدايات الآيات مع نهاياتها.

ولأجل بلوغ هذه الغايات فإننا سلكنا في هذه الدراسة المنهجية الآتية:

1-تحديد المقاصد العامة للسورة التي تنتمي إليها الآية أو الآيات موضوع الدراسة.

2-تحديد علاقة تصدير السورة وختامها بمقاصد السورة.

3- إبراز علاقة ختم الآية بالأسماء بمقاصد السورة الكلية أو الجزئية.

4-تحديد علاقة الأسماء في سياق الآية (أي ختامها) بالتشريع (عقيدة، وشريعة، وسلوكا...)

5-مراعاة التكامل والتداخل بين العقيدة والعبادات والسلوك، من خلال موضوعات السورة، ومن خلال سياق الآية المختوم بالأسماء والصفات.

وهذه من أهم الثمرات والغايات التي تهدف إليها هذه الدراسة وهي إيجاد الترابط والتناسق بين ما هو عقدي، وما هو عبادي، أو بين ما هو من أصول الشريعة، وما هو من فروعها، حيث أدى هذا الفصل إلى التساهل عند بعض الناس إلى ترك الجوانب العملية والسلوكية في الشريعة الإسلامية نظرا لتلك التقسيمات في تاريخ العلوم الإسلامية، والتي كانت لها مبررات منهجية تعليمية أو تربوية كالتبويب والترتيب والتقسيم.

وهذه المنهجية المقترحة تستهدف أن تكون دراسة أسماء الله وصفاته دراسة منهجية، ومعالجتها معالجة كلية لا جزئية، تراعي سياق السورة العام، كما تراعي سياق الآية الخاص. وذلك لأن القرآن يشكل وحدة نسقية يفهم في ضوئها أجزاؤه، وسياقاته الخاصة.

يقول سيد قطب رحمه الله "...ومن ثم يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أن لكل سورة من سوره شخصية مميزة، شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس! ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص. ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها، ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو... ولها إيقاع موسيقي خاص –إذا تغير في ثنايا السياق فإنما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة، وهذا طابع عام في سور القرآن جميعا. ولا يشذ عن هذه القاعدة طوال السور كهذه السورة {يعني سورة البقرة}"[1]

تطبيقات على آيات: من سورة البقرة

النموذج الأول: -قوله تعالى "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم" البقرة.29

1-مقاصد السورة العامة:

سورة البقرة من أطول سور القرآن على الإطلاق، وهي من السور المدنية التي تعنى بجانب التشريع، شأنها كشأن سائر السور المدنية، التي تعالج النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية.

-اشتملت هذه السورة الكريمة على معظم الأحكام التشريعية: في العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، وفي أمور الزواج، والطلاق والعدة، وغيرها من الأحكام الشرعية.

-وقد تناولت الآيات في البدء الحديث عن صفات المؤمنين، والكافرين والمنافقين، فوضحت حقيقة الإيمان، وحقيقة الكفر والنفاق، للمقارنة بين أهل السعادة وأهل الشقاء.

-ثم تحدثت عن بدء الخليقة فذكرت قصة أبي البشر "آدم عليه السلام"، وما جرى عند تكوينه من الأحداث والمفاجآت العجيبة التي تدل على تكريم الله عز وجل للنوع البشري.

---

[1] -في ظلال القرآن (مقدمة سورة البقرة) 28/1.

-ثم تناولت السورة الحديث بالإسهاب عن أهل الكتاب، وبوجه خاص بني إسرائيل "اليهود" لأنهم كانوا مجاورين للمسلمين في المدينة المنورة، فنبهت المؤمنين إلى خبثهم ومكرهم، وما تنطوي عليه نفوسهم الشريرة من اللؤم والغدر والخيانة، ونقض العهود والمواثيق...، وقد تناول الحديث عنهم ما يزيد عن الثلث من السورة الكريمة، بدءا من قوله تعالى "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم" إلى قوله تعالى "وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن"

-أما بقية السورة الكريمة فقد تناولت جانب التشريع، لأن المسلمين كانوا في بداية تكوين الدولة الإسلامي، وهم في أمس الحاجة إلى المنهاج الرباني، والتشريع السماوي، الذي يسيرون عليه في حياتهم سواء في العبادات أو المعاملات، ولذا فإن جماع السورة يتناول الجانب التشريعي، وهو باختصار كما يلي:

أحكام الصوم، أحكام الحج والعمرة، أحكام الجهاد في سبيل الله، شؤون الأسرة وما يتعلق بها من الزواج والطلاق والرضاع، والعدة، تحريم نكاح المشركات، والتحذير من معاشرة النساء في حالة الحيض، إلى غير ما هنالك من أحكام تتعلق بالأسرة، لأنها النواة الأولى للمجتمع الأكبر.

-ثم تحدثت السورة عن جريمة الربا التي تهدد كيان المجتمع وتقوض بنيانه...، وعن أحكام البيع والمداينة.

-ثم تحدثت السورة عن ذلك اليوم الرهيب "واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون"

-وختمت السورة بتوجيه المؤمنين إلى التوبة والإنابة، والتضرع إلى الله عز وجل، برفع الأغلال والآصار، وطلب النصرة على الكفار، والدعاء لما فيه سعادة الدارين "ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا..." [1]

2-علاقة التصدير والختام بمقاصد السورة ومدى خدمتها لها.

افتتحت السورة بذكر بعض قضايا الإيمان، منها الإيمان بالكتاب وذكر صفات المتقين، وهم من يؤمن بالغيب ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويؤمن بالكتب السماوية والآخرة.

"آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون"

وختمت أيضا بذكر الإيمان وأركانه وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون..."

إذن فبداية السورة وختامها يخدم قضية العقيدة الإسلامية، وهي من مقاصد السورة.

3-علاقة ختم الآية باسم الله "العليم" بمقاصد السورة

السياق العام هو سياق الاستدلال على ربوبية الله لهذا الكون، وذلك عن طريق عرض دلائل الخلق الواقعية، وهي خلق الإنسان من العدم، ثم إماتته بعد الإحياء، ثم إحياؤه بعد الموت، ثم بعثه، وأغلب هذه المراحل من

---

[1] -صفوة التفاسير 1/15-16.

الواقع المشهود –الذي لا يجادل فيه إنسان، قال تعالى "كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون"

ومن هذه الدلائل الواقعية أيضا، تسخير الله تعالى ما في الكون للإنسان. ويتناسب ختم الآية مع السياق العام، وهو علاقة علم الله بمبحث العقدية الذي هو مقصد من مقاصد هذه السورة افتتاحا وختاما.

هذا السياق العام، أما السياق الخاص، فهو أن الله خلق ما في الأرض جميعا للإنسان.

كما أن الآية ألمحت إلى دور الإنسان العظيم في الأرض، وإلى قيمته عند الله ومكانته في التصور الإسلامي، وفي نظام المجتمع، فهو العضو الفعال في هذه الأرض.

فالله خلق الإنسان وخلق له ما في الأرض جميعا كما قال تعالى "خلق لكم" ليكون مستخلفا في الأرض مالكا لما فيها فاعلا مؤثرا فيها فدوره في الأرض وفي أحداثها وتطوراتها هو الدور الأول فهو سيد الأرض.

والنعمة التي يمتن الله بها على الناس هنا –وهو يستنكر كفرهم به– ليست مجرد الإنعام عليهم بما في الأرض جميعا، –ولكنها إلى ذلك– سيادتهم على ما في الأرض جميعا، ومنحهم قيمة أعلى من قيم الماديات التي تحويها الأرض جميعا. هي نعمة الاستخلاف والتكريم فوق نعمة الملك والانفتاح العظيم[1]

–"وهو بكل شيء عليم"، ولم يقل تعالى "وهو على كل قدير": لأن الخلق الذي يتحدث عنه الله تعالى هو دليل علم الله تعالى، وهو سبحانه "كثيرا ما يقرن بين خلقه، وإثبات علمه كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير"، لأن خلقه للمخلوقات، أدل دليل على علمه، وحكمته، وقدرته"[1]

–السياق الخاص، سياق التمكين للإنسان من أجل الخلافة، لأن الآية تتحدث عن قضية تسخير هذه المخلوقات للإنسان ليستطيع تحمل مسؤولية الخلافة في الأرض وهي مبناها على العلم أيضا "وعلم آدم الأسماء كلها" كما يأتي بعد.

4–علاقة ختم الآية بقوله تعالى "وهو بكل شيء عليم" بالتشريع

شمول علم الله الذي نشأ عنه ما نشأ من الخلق والتدبير والتسخير، "حافز من حوافز الإيمان بالخالق الواحد، والتوجه بالعبادة للمدبر الواحد، وإفراد الرازق المنعم بالعبادة اعترافا بالجميل."[2]

5–التكامل والتداخل بين العقيدة والعبادة.

وهكذا تتداخل قضية الخلق، وتسخير المخلوقات وإعداد الإنسان لمسؤولية التكليف بختم الآية بشمول علم الله بقضية التوحيد، توحيد الخالق في جانب الربوبية وجانب العبودية.

---

[1] ـــ في ظلال القرآن 1/53-54.

[2] ـــ تيسير الكريم الرحمان، لعبد الرحمان السعدي 1/70.

النموذج الثاني: -قوله تعالى "وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون. وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم."البقرة 30-32.

1-علاقة ختم الآية بقوله تعالى "إنك أنت العليم الحكيم" بمقاصد السورة الكلية أوالجزئية.

تحدث هذه الآيات، عن موضوع بدء الخليقة، وقصة آدم أبي البشر وما جرى عند خلقه وتكوينه من الأحداث والمفاجآت العجيبة التي تدل على تكريمه، واعتراض الملائكة على هذا الأمر.

وسياق الآيات يتحدث عن "قصة استخلاف آدم في الأرض، ومنحه مقاليدها، على عهد من الله وشرط، وإعطائه المعرفة التي يعالج بها هذه الخلافة" [1] (وعلم آدم الأسماء كلها).

(وإذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم هذا الكائن الجديد في الوجود، زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحوير والتبديل، وكشف ما في هذه الأرض من قوة وطاقات، وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله –بإذن الله– في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه، إذن فقد وهب هذا الكائن من الطاقات الكامنة، والاستعدادات المذخورة، كفاء ما في هذه الأرض من قوة وطاقات، وكنوز وخامات، ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية)[2] .

(ثم إن الملائكة، بنظرتها البريئة التي لا تتصور إلا الخير المطلق، وإلا السلام الشامل –يرون التسبيح بحمد الله والتقديس له، هو وحدة الغاية المطلقة للوجود، وهو وحده العلة الأولى للخلق. وهو متحقق بوجودهم هم، يسبحون بحمد الله ويقدسون له، ويعبدونه ولا يفترون عن عبادته.

–لقد خفيت عليهم حكمة المشيئة العليا، في بناء هذه الأرض وعمارتها، وفي تنمية الحياة وتنويعها، وفي تحيق إرادة الخالق وناموس الوجود في تطويرها وترقيتها وتعديلها، على يد خليفة الله في أرضه.

هذا الذي قد يفسد أحيانا، وقد يسفك الدماء أحيانا، ليتم من وراء هذا الشر الجزئي الظاهر خير أكبر وأشمل، خير النمو الدائم، والرقي الدائم. خير الحركة الهادمة البانية، خير المحاولة التي لا تكف، والتطلع الذي لا يقف، والتغيير والتطوير في هذا الملك الكبير)[3] .

---

[1] ــ في ظلال القرآن 56/1.

[2] ــ في ظلال القرآن 56/1.

[3] ــ في ظلال القرآن 56/1-57.

(–وإنما أسلم الله الإنسان مقاليد الخلافة بما أودعه فيه من القدرة على الرمز، بالأسماء للمسميات، القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها –وهي ألفاظ منطوقة– رموزا لتلك الأشخاص والأشياء المحسوسة، دون حاجة إلى إحضار ذوات تلك الأشياء والأشخاص.

(وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة...)

فأما الملائكة فلا حاجة لهم بهذه الخاصية، لأنها لا ضرورة لها في وظيفتهم، ومن ثم لم توهب لهم[1].

2–علاقة اسمي الله "العليم الحكيم" بسياق الآية:

–قوله "إني جاعل في الأرض خليفة..."أي خالق خليفة، فالخلق يلزم منه، ويحتاج إلى العلم والحكمة، وعلم الله وحكمته باديتان في خلقه، لذلك ناسب السياق ختم الآية بقوله "العليم الحكيم"

كما أن هذا الخليفة سيدخل مجال الامتحان والابتلاء بتحمل الخلافة وعمارة الأرض.

–فالابتلاء لهذا المخلوق مبني على علم وحكمة، وكذلك معرفة من يصلح للخلافة ومن لا يصلح مبني على العلم والحكمة، ومعرفة أرجحية خير هذا الخليفة على شره مبني على علم وحكمة، وشر هذا الخليفة الذي أشارت إليه الملائكة بقولها "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" وخيره الذي هو عمارة الأرض وتنمية الحياة وتطويرها وترقيتها وتعديلها، هذا أيضا يحتاج إلى علم وحكمة. –ثم إن من الحكم من خلق هذا الخليفة أن يكون الله "أراد أن يجتبي منهم الأنبياء والصديقين، والشهداء، والصالحين، ولتظهر آياته للخلق..."[2]

فهذا أيضا يحتاج إلى العلم والحكمة.

3–علاقة ختم الآية باسمي "العليم الحكيم" بمقاصد السورة

فسياق الآيات سياق عقدي، يتحدث عن قضية الخلق والابتلاء، والاختيار والاصطفاء.

وهي قضية عقدية ناسبها أن تختم باسمي الله "العليم الحكيم".

4–التكامل والتداخل بين العقيدة والسلوك من خلال سياق الآية وختمها.

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى "إنك أنت العليم الحكيم" على أنها من قول الملائكة –صار سياقها سياقا تربويا، الغرض منه التواضع، وعدم دعوى الأعلمية.

فبالرغم من أن عالم الملائكة لا يعرف إلى الشر سبيلا، ولا إلى المعصية طريقا، ولا إلى الفساد وجهة –فإن معرفة حكم الخلق وأسرار الابتلاء والاصطفاء –من المصالح والمنافع– قد تخفى على مخلوق ولو كان ملائكة، فتكون مدعاة لاتهام النفس، والتواضع أمام من هو أعلم وأحكم؛ لذلك ختم الله هذا السياق باعتراف الملائكة

---

[1] ــ في ظلال القرآن 57/1.

[2] ــ يسير الكريم الرحمان 71/2.

بمدى علم الله وحكمته "إنك أنت العليم الحكيم" ليعلمنا وإياهم التواضع، وعدم ادعاء الحقيقة المطلقة ما دام في الوجود من هو أعلم وأحكم "وفوق كل ذي علم عليم".

فجمع السياق هنا بين قضية عقدية وقضية تعليمية تربوية إشارة إلى أن قضية الأسماء والصفات الإلهية تحمل من الكمالات والمعاني الحسنة ما نتعلم منه العقيدة والعبادة والأخلاق وغير ذلك.

والختم بالمعاني الحسنة يبقي لنا خلاصة المعاني التي انتهى إليها السياق القرآني بما يحمل من مختلف المعاني التي تطوق الآية، آية الدرس.

من سورة فصلت: -قوله تعالى "حم، تنزيل من الرحمان الرحيم"سورة فصلت 1-2.

تسمية السورة:

سميت "سورة فصلت" لأن الله تعالى فصل فيها الآيات، ووضح فيها الدلائل على قدرته ووحدانيته، وأقام البراهين القاطعة على وجوده وعظمته، وخلقه لهذا الكون البديع، الذي ينطق بجلال الله وعظيم سلطانه[1].

وكذلك لأنها فصلت في شأن القرآن وأبانت عن كونه من الله قد أحكمت آياته. وهي من السور المكية.

1-مقاصد السورة:

قضية العقيدة بحقائقها الأساسية هي التي تعالجها هذه السورة،... الألوهية الواحدة، والحياة الآخرة، والوحي بالرسالة، يضاف إليها طريقة الدعوة إلى الله وخلق الداعية[2] .

-ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن، المنزل من عند الرحمان، بالحجج الواضحة، والبراهين الساطعة، الدالة على صدق محمد عليه الصلاة والسلام، فهو المعجزة الدائمة الخالدة للنبي الكريم.

-وتحدثت السورة عن أمر الوحي والرسالة، فقررت حقيقة الرسول، وأنه بشر خصه الله تعالى بالوحي، وأكرمه بالنبوة، واختاره من بين سائر الخلق ليكون داعيا إلى الله، مرشدا إلى دينه المستقيم.

-ثم انتقلت السورة إلى الحديث عن مشهد الخلق الأول للحياة، خلق السماوات والأرض، بذلك الشكل الدقيق المحكم، الذي يلفت أنظار المعرضين عن آيات الله، للنظر والتفكر والتدبر...

-وعرضت السورة للتذكير بمصارع المكذبين، وضربت على ذلك الأمثلة بأقوى الأمم وأعتاها، قوم عاد الذين بلغ من جبروتهم أن يقولوا "من أشد منا قوة"، وذكرت ما حل بهم وبثمود من الدمار الشامل، والهلاك المبين، حين تمادوا في الطغيان، وكذبوا رسل الله.

---

[1] ــ صفوة التفاسير لمحمد على الصابوني 4/15.

[2] ــ في ظلال القرآن لسيد قطب 3105/5.

-وبعد الحديث عن المجرمين يأتي الحديث عن المؤمنين المتقين، الذين استقاموا على شريعة الله ودينه، فأكرمهم الله بالأمن والأمان في دار الجنان، مع النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين.

-ثم تحدثت السورة عن الآيات الكونية المعروضة للأنظار، في هذا الكون الفسيح، الزاخر بالحكم والعجائب، وموقف الملحدين بآيات الله المتعامين عن كل تلك الآيات الظاهرة الباهرة.

-وختمت السورة بوعد الله للبشرية، بأن يطلعهم على بعض أسرار هذا الكون في آخر الزمان ليستدلوا على صدق ما أخبر عنه القرآن "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد".

2-علاقة الافتتاح بالختم:

افتتحت السورة بالكلام عن القرآن الكريم، وأنه وحي من عند الرحمان الرحيم، فأشارت إلى فصاحته وحسن بيانه وتفصيل آياته، وإلى موقف الكفار منه وتبرمهم عن الإيمان به ودعواهم وجود الحائل والحجاب بينهم وبين فهمه.

وختمت بوعد الله لهؤلاء المكذبين بأنه سيقيم لهم من الشواهد والأدلة في الآفاق وفي أنفسهم ما يدلهم على صدق هذا القرآن الكريم.

3-علاقة ختم الآية "تنزيل من الرحمان الرحيم" باسمي الله الرحمان الرحيم، بمقاصد السورة.

ناسب ختم الآية باسمي الله "الرحمان الرحيم"، وذلك لأن الحديث عن إنزال الكتاب الذي أخذ حيزا كبيرا من هذه السورة،-هو رحمة من الله تعالى: رحمة من الله بالمؤمنين أن هداهم لقبوله والإيمان به، وقد وصف القرآن بأنه رحمة في كثير من آياته منها قوله تعالى: "فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة" الأنعام 157.

-ومنها قوله تعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" الأنبياء107.

-ومنها قوله تعالى "أو لم يكفهم أن أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون" العنكبوت 51.

-وهو رحمة من الله بهؤلاء الكفار المشركين، فقد تلطف بهم، وعرض عليهم من الأدلة والحجج والبراهين ما لم يفعله مع عاد وثمود، الذين قص الله في هذه السورة أخبار هلاكهم بسبب تكذيبهم لرسل ربهم.

-ومن رحمة الله بالمؤمنين وبهؤلاء المشركين أن أرسل إليهم بشرا مثلهم تتحقق به الأسوة والقدوة "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد..." فصلت6.

-ومن رحمة الله بهؤلاء المشركين أن أقام لهم الحجج على ربوبيته في كتابه المقروء ونشر لهم الكون المشهود الذي يشهد واقعه وذراته بربوبيته تعالى لهذا الكون "قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء

للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين. فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم" فصلت 9-12.

-ومن رحمته بالمؤمنين والكفار أنه خلقهم وخلق لهم هذا الكون الفسيح وبث لهم فيه سبل العيش ويسرها لهم. "قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا، ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها"، ومع ذلك كفر به من كفر وأشركوا معه غيره، فقد رحمهم إذ لم يهلكهم ويستأصلهم من هذه الدنيا.

-والقرآن رحمة للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، فقد وعدهم الجنة –رحمة منه- "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم" فصلت32.

-ودخلت رحمة الله –أيضا- في مجال الدعوة إلى الله فأراد الله أن يعلم الدعاة أن الدعوة إلى دين الله تحتاج إلى الرحمة والصفح والتنازل.

"ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم" فصلت 34-35.

-ومن رحمته بهؤلاء الذين نزل فيهم القرآن –وهم العرب أنه نزل بلسان عربي مبين، تتحقق به الهداية والبيان، وهم أهل الفصاحة "ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي" فصلت 44.

فهذه علاقة ختم الآية باسمي الله "الرحمان الرحيم" بمقاصد السورة بسياقها الخاص وسياقها العام.

وبذلك يتبين لنا بعض ما يحمله اسما الله الرحمان الرحيم من المعاني الحسنة. وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا.

وهذا الذي تقدم من علاقة هذين الاسمين بمقاصد السورة، وبسياقها الخاص والعام بعض مراد الله، كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"

من سورة الحجرات: -قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم" الحجرات .18

1-مقاصد السورة: مدنية

تضمنت هذه السورة على وجازتها حقائق التربية الخالدة، وأسس المدنية الفاضلة.

-ابتدأت بالأدب الرفيع، الذي أدب الله به المؤمنين، تجاه شريعة الله وأمر رسوله، وهو ألا يبرموا، أو يبدوا رأيا، أو يقضوا حكما في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يستشيروه ويستمسكوا بإرشاداته الحكيمة "يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم"

-ثم انتقلت إلى أدب آخر وهو خفض الصوت إذا تحدثوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم، تعظيما لقدره الشريف، واحتراما لمقامه السامي، فإنه ليس كعامة الناس، بل هو رسول الله، ومن واجب المؤمنين أن يتأدبوا معه في الخطاب مع التوقير والتعظيم والإجلال "يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي..."

-ومن الأدب الخاص إلى الأدب العام تنتقل السورة لتقرير دعائم المجتمع الفاضل، فتأمر المؤمنين بعدم السماع للإشاعات، وتأمر بالتثبت في الأنباء والأخبار، لاسيما إذا كان الخبر صادرا عن شخص غير عدل أو شخص متهم "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا"

-دعت السورة إلى الإصلاح بين المتخاصمين، ودفع عدوان الباغين "وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما..."

-وحذرت السورة من السخرية والهمز واللمز، ونفرت من الغيبة والتجسس والظن السيئ بالمؤمنين، ودعت إلى مكارم الأخلاق، والفضائل الاجتماعية.

-وختمت السورة بالحديث عن الأعراب الذين ظنوا الإيمان كلمة تقال باللسان، وجاءوا يمنون على الرسول إيمانهم، فتبين حقيقة الإيمان، وحقيقة الإسلام، وشروط المؤمن الكامل، وهو الذي جمع الإيمان والإخلاص والجهاد والعمل الصالح، "إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون..."

2-علاقة تصدير السورة وختامها بمقاصد السورة.

افتتحت السورة بالدعوة إلى التأدب مع الله ورسوله، لأن الله يسمع كل ما يقوله العباد، ويعلم أحوالهم.

وختمت بالدعوة إلى التزام الأدب مع الله ورسوله "قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات والأرض" وأخيرا بالإخبار عن إطلاع الله على أحوال هؤلاء الذين ادعوا الإيمان وعلمه بحقيقة أمرهم، فله سبحانه علم غيب السماوات والأرض "إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون"

3-علاقة ختم الآية "إن الله سميع عليم" بمقاصد السورة

إذا كان الله سميعا عليما فمقتضى ذلك أن يسلك المؤمن الآداب اللائقة بمن هذا شأنه سبحانه.

4-علاقة اسمي الله "سميع عليم" في سياق الآية بالتشريع.

قال قتادة: ذكر لنا ان أناسا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا وكذا، لوضح كذا، فكره الله تعالى ذلك. وقال العوفي: نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه[1].

فإن اقتراح نزول شيء من الوحي في كذا إنما يكون بالعلم، وهذا العلم الذي يترل الوحي على ضوئه لا يكون إلا لله تعالى.

ودليل كون الله متصفا بهذا العلم أنه تعالى سمع قولهم واطلع على حالهم. فتعقب اقتراحهم بقوله تعالى "إن الله سميع عليم".

---

[1] ـــ تفسير ابن كثير 281/7.

ثم إن هذا الذي تتقدمون بين يدي كلامه، وهو من علمتم صفاته من سمع وعلم اطلع به على خلجاتكم – أحرى بكم إذن أن تعرفوا له فضله وتعاملوه بما يليق به من الآداب والتوقير له ولرسوله صلى الله عليه وسلم. فهو الذي تفضل عليكم بنعمة الإيمان بعد نعمة الحياة فناداكم بوصف هو أحب إليكم "وحبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم" فناداكم مع خطئكم بقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله"

وكرر تعالى لفظ الجلالة هنا على التوالي "واتقوا الله إن الله سميع عليم" للترهيب والتخويف والهبة، لأن السياق سياق تأديب وتربية.

5-التداخل والتكامل بيت العقيدة والسلوك من خلال هذا الختم.

وهكذا وفر السياق هنا بالنسبة لاسمي الله تعالى "سميع عليم" درسا تربويا يحتاجه المسلمون في تلقي الوحي وفي التعامل مع الله ورسوله في حسن التعلم والتربية على معرفة الفضل لذويه.

من سورة الحديد:

مقاصد سورة الحديد

هذه السورة الكريمة بالرغم من كونها مدنية، فقد فصلت في بعض قضايا الإيمان التي يبنى عليها معتقد الجماعة المؤمنة، التي أصبح لها استقرار واستقلال، فاحتاجت إلى تحقيق ذاتها إيمانيا ودعويا وحضاريا.

فقد تضمنت السورة:

-ربوبية الله لهذا الكون، الخاضع لأمره، القائم بتسبيحه.

-الدعوة إلى الإيمان بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والإنفاق في سبيل الله، وأجر المنفقين القائمين بأمر الدعوة إلى الله.

-أحوال الناس في الآخرة، وانقسامهم –حسب أعمالهم– إلى مؤمنين منعمين، ومنافقين وكفار معذبين.

-قيمة الحياة الدنيا في مقابل الآخرة.

-الإيمان بالقدر.

-أن الغاية من بعثة الرسل إقامة العدل.

-أن الغاية من إنزال الحديد إعمار الكون، وتوظيفه في الدعوة إلى الله، ونشر الفضيلة، وحراسة الرأي العام.

-قصص الأنبياء، وذكر أحوال أتباعهم لأخذ العبرة منهم.

وهذه الدراسة لنماذج من سورة الحديد.

النموذج الأول: قوله تعالى "سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم" آية 1.

تضمن هذا الاستهلال خضوع [1] جميع المخلوقات في السماوات والأرض له سبحانه وتعالى، وتنزيهه وتمجيده[2].

عما لا يليق بجلاله. وأنها قائمة لربها، منقادة لعزته، قد ظهرت فيها آثار حكمته.[3]

---

[1] ــ تفسير ابن كثير 5/8.

[2] ــ انظر "فتح القدير" للشوكاني 177/5

[3] ــ انظر "تيسير الكريم الرحمان" لعبد الرحمان السعدي 282/7.

وناسب الختم هنا بقوله تعالى "وهو العزيز الحكيم"، فهو عزيز بخضوع كل المخلوقات له، ومن أثر خضوعها تسبيحها له، وافتقارها له. وقد ظهرت حكمته تعالى في خلقه وأمره وشرعه[1]. كما ظهرت حكمته في جمعه في هذا السياق بين العزة والحكمة، وذلك لا يكون إلا لله الذي شهدت له بذلك الكائنات، ودلت عليه الوقائع.

هذا بالنسبة للسياق الخاص لاسمي الله "العزيز الحكيم"، أما بالنسبة للسياق العام، فمن عزته أن له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت.

ومن عزته أن له ميراث السماوات والأرض، وأن ما استخلفكم فيه من مال آيل إليه، أنفقتم في سبيله أو لم تنفقوا.

ومن حكمته أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، ولو شاء لخلقها بقوله "كن".

ومن حكمته أن ربط نصر الإسلام وإعلاء كلمته بالإنفاق في سبيله ابتلاء لهم، ولما يحصل لهم بذلك من الأجر والخير في الدنيا والآخرة (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير)

وقد ظهرت عزته وحكمته سبحانه في أن قيام الدين والدنيا، وصلاحهما قد ارتبط بسلطان الوحي وسلطان القوة المتجلية في إنزال الحديد (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب)

أما سلطان الوحي فلتضمنه الأدلة والحجج والبراهين على ربوبية الله لهذا الكون. وأما سلطان القوة فباستعمال الوسائل والآليات، والتقنيات الحديثة في الدعوة إلى الله، وفي الذوذ عن حياض الدين.

النموذج الثاني: قوله تعالى: "هو الذي يترل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤوف رحيم" آية 9.

فمن رأفته ورحمته تعالى أن نزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم آيات واضحات تتحقق بها الهداية والرشد ويزاح بها الكفر والشبهات، وتكون منجاة لمن آمن بها من النار، وسببا في دخول الجنة.

ومن رأفته ورحمته في سياق السورة العام أن خلق السماوات والأرض وسخرهما لنا، ومن ذلك أيضا إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل لما يتحقق بذلك من تعاقب الفصول التي فيها منافع للناس، ومواقيت للطاعة.

ومن رأفته ورحمته أن دلنا على النفقة في سبيل الله، وما يتحقق بها من عظيم الأجر والثواب، وما دلنا عليه من القرض الحسن الذي يضاعف ثوابه (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم)آية 11، ومن ذلك أيضا إحياؤه القلوب الميتة بذكره كما تحيى الأرض الميتة بالماء.

ومن رأفته ورحمته بنا إرساله الرسل وإنزاله الكتب إقامة العدل، وإنزاله الحديد الذي به يتحقق العمران، وينصر الإسلام.

ومن ذلك أن جعل لنا عبرة وعظة في قصص الأنبياء وما وقع لهم مع أقوامهم...إلخ...

وهذا يجلي لنا الوحدة الموضوعية للسورة وتماسك عناصرها، وما تحمله أسماء الله الحسنى من المعاني الغنية في سياقها الخاص كما في سياقها العام.

---

[1] ـــ انظر تفسير ابن كثير 5/8.

النموذج الثالث: قوله تعالى: "الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد" آية 24.

ناسب ختم الأية باسمي "الغني الحميد" لبيان غناه تعالى عن نفقة المنفقين وعن بخل البخلاء، فإن الله قادر على نصر دينه ولو أعرض الناس جميعا، فهو سبحانه "الذي له ملك السماوات والأرض، وهو الذي أغنى عباده وأقناهم، الحميد الذي له كل اسم حسن، ووصف كامل، وفعل جميل، يستحق أن يحمد عليه، ويثق ويثنى ويعظم عليه"[1].

حتى قال أحق فيه من عبده صلى الله عليه وسلم "لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك"[2].

هذا سياق الآية الخاص، أما سياق الاسمين ومعناهما العام، فالله غني عن تسبيح المسبحين، وعن إيمان المؤمنين، وعن نفقة المنفقين، وعن خشوع الخاشعين، وعن تصدق المتصدقين، وعن إرسال الرسل وإنزال الكتب، وعن تقوى المتقين، حميد بأياديه في هذا الكون، من ملك وخلق وإحياء وإماتة، وإنزال الكتب، وإرسال الرسل الذين قص علينا من أخبارهم ما فيه نور وهداية لنا...

خاتمة:

أ-النتائج.

إن ختم آيات القرآن الكريم بأسماء الله الحسنى يحمل كثيرا من المعاني التي أراد الله منا تدبرها وفهمها، بل جمع الله تعالى فيه أحسن المعاني في أحسن الأسماء، أسماء الله الحسنى.

-إن مما يساعد على فهم معاني أسماء الله الحسنى التي ختمت بها آي القرآن تدبر مقاصد السورة العامة والخاصة وربطها بها. وكذلك الكشف عن علاقات الترابط والتناسق بين السياق العام والخاص وبين الختم بأسماء الله الحسنى.

-ضرورة فهم أسماء الله الحسنى في إطار الوحدة التناسقية بين آيات القرآن الكريم. فالقرآن كل لا يتجزأ في معانيه.

-إن هذه المعاني التي كشف عنها هذا البحث إنما هي بعض ما تحمله أسماء الله الحسنى من معاني الكمال لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"

ب-التوصيات.

ضرورة تعميق البحث في ختم آيات القرآن بأسماء الله الحسنى وعلاقتها بالسياق العام والخاص للسورة، لأن معظم البحوث عن أسماء الله الحسنى لم يراع ذلك، بل منها ما راعى السياق الخاص فقط، ومنها ما جردها عن سياقها وتعامل معها على أنها مجرد أعلام وأسماء.

---

[1] ـــ "تيسير الكريم الرحمان" لعبد الرحمان السعدي 300/7.

[2] ـــ رواه مسلم في الصحيح 352/1 ح 486 كتاب الصلاة (باب ما يقال في الركوع والسجود).

فهرست المصادر والمراجع:

– إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود. دار الفكر

– الإيمان هو الأساس. عبد الله قادري الأهدل. دار القلم دمشق ط1 : 1418 ه 1997 م.

–بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، تحقيق هشام عبد العزيز عطا، وعادل عبد الحميد العدوي، وأشرف أحمد. مكتبة الباز. مكة ط1. 1416ه/1996م.

– تبصير الرحمان وتيسير المنان. علي بن أحمد المهايمي. عالم الكتب بيروت ط2: 1403 ه 1983 م.

– التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور. الدار التونسية.

– تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي. دار التراث للقاهرة. ط بدون.

–تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير، تعليق هاني الحاج المكتبة التوفيقية. القاهرة. ط بدون.

–تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تحقيق محمد زهري النجار. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء. الرياض. ط بدون 1404ه.

– جامع البيان في تأويل القرآن. محمد بن جرير الطبري. المكتبة التوفيقية القاهرة. ط بدون.

–الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج. تعليق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث القاهرة. ط 1 1412ه/1991م.

–درء تعارض العقل والنقل. لابن تيمية. تحقيق محمد رشاد سالم.

–صفوة التفاسير. محمد على الصابوني. دار القرآن بيروت. ط1. 1401ه/1998م.

–فتح القدير لمحمد بن على الشوكاني. دار إحياء التراث العربي بيروت ط1. 1418ه/1998م.

–في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق. بيروت. ط 15. 1408ه/1988م.

– اللباب في علوم الكتاب. أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي. تحقق عادل أحد عبد الموجود وآخرين. دار الكتب العلمية بيروت. ط 1 : 1419ه 1998م.

– مدارك التنزيل وحقائق التأويل. أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي. دار الكتاب العربي بيروت. ط بدون.

–مقاصد أسماء الله الحسنى في الخطاب الأشعري. عبد النور بزا. مقال بمجلة الفرقان المغربية، عدد 63 سنة 1430ه/2009م.

–النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى. محمد الحمود النجدي. مكتبة الإمام ابن تيمية. الكويت ط2. 1430ه/2009م.